رسائل دار العلم
٦

العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية

بقلم

عبد الرحمن عبد الخالق

الطبعة الثانية

الدار السلفية
بالكويت

دار العلم
بنها ج.م.ع

العقبات التي تعترض إعادة بناء

الأمة الإسلامية

تأليف

عبد الرحمن عبد الخالق

الطبعة الثانية

الدار السلفية | دار العلم
الكويت | بنها ج . ع . م

الطبعة الثانية

١٤٠٣ هـ

الناشر

الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع
عمارة حسين العمر ـ مقابل محافظة حولي
تلفون ٥١٧٤٢٠ ـ ٥١٨٨٣٠
ص . ب : ٢٠٨٥٧ ـ صفاة ـ كويت

قال تعالى ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾[٣] أي بئر معطلة عن السقي مع امتلائها بالماء وقصر مشيد لا يسكنه أحد .

وقد يكون الهلاك بتسليط غيرهم عليهم من أهل الايمان تارة ، أو من أمثالهم من أهل الكفر أخرى . كما سلط الله هذه الأمة الاسلامية على الأمم التي كفرت به من أهل الكتاب الذين بدلوا شرائع الله وانحرفوا عن هديه سبحانه . . قال تعالى بعد أن أورث المسلمين أرض اليهود في المدينة ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأرضا لم تطئوها ، وكان الله على كل شيء قديرا ﴾[٤] وقال عن أمثالهم ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾[٥]

وبشر الله نبيه قبل موته أن أمتهﷺ سترث الأمم وتملك العالم شرقه وغربه . كما قالﷺ ﴿ إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها ﴾[١]

وقرأ سعد بن ابي وقاص عندما دخل إيوان كسرى بعد

---

(٣) الحج ٤٥

(٤) الأحزاب ٤٥

(٥) الحشر ٢

(١) الترمذي

فتح فارس ﴿ كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . . كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾[٢] فبكى وبكى الناس وراءه .

وقد يهلك الله الظالمين بالظالمين ، ويؤدب المؤمنين بالكافرين . . كل ذلك وفق حكمته التامة ، وعلمه المحيط .

المهم هنا أن نعلم أن الأمة الصالحة ، والمجتمع الصالح في ميزان الله ليست هي الأمة والدولة التي تعيش في بيوت جميلة وشوارع واسعة ، وحدائق غناء ، وملاعب حديثة بل قد يكون هذا كله موجودا وتكون هذه الامة ملعونة في ميزان الله ، موصوفة بالظلم والطغيان ، والكفر والعصيان

وكذلك الحال أيضا في الأفراد . . فليس الفرد الصالح أو الانسان الصالح هو الغني المترف المنعم ، العليم بشئون دنياه ، الظريف المنمق ، الجميل المتأنق . . بل قد يكون الإنسان موصوفا بهذه الصفات جميعها ، وهو لا يزن عند الله جناح بعوضة ، كما قالﷺ ﴿ يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ﴾[١] . وقال تعالى عن قارون الذي افتخر بماله وزينته وثروته وسلطانه ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر

---

(٢) الدخان

(١) متفق عليه

جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾[٢] . . وقال ﷺ ﴿ وأهل النار كل جعظري جواظ مستكبر ﴾[٣] . . والجعظري هو الغليظ الشديد المنيع في قومه وسربه .

وهنا نأتي إلى السؤال

إذًا ما صفات المجتمع الصالح والأمة الصالحة في ميزان الله ، وما صفات الفرد الصالح أو الإنسان الصالح الذي يحبه الله ويتولاه ؟؟

---

(٢) القصص ٧٨

(٣) أبو داود وأحمد

الجواب :

والجواب . . أن الأمة الصالحة هي الأمة التي يكون تجمعها والتئامها وترابطها على أساس الايمان بالله ورسالاته ، والعمل وفق محبته ورضوانه فتكون بذلك علاقة أفرادها قائمة على أساس الأخوة في الله وما تقتضيه هذه الاخوة من التراحم والتعاطف والتعاون والنصرة والموالاة . ويكون تعاملها مع غيرها من أمم الأرض قائما على أساس من هذه العقيدة أيضا فهي داعية للناس جميعا أن يكونوا إخوة في رحاب الاسلام . . وهي تعادي في سبيل عقيدتها وتحارب في سبيلها ، وتسالم وتصالح وتعاهد وتهادن وفق هذه العقيدة أيضا . ومصالحها الدنيوية تبع لايمانها ودينها .

والفرد الصالح لبنة في هذا المجتمع وعضو في هذه الأمة . . يؤمن بالله ويسخر حياته كلها من أجل دينه . . كما قال تعالى ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له . وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[1] وهو مع جعله حياته لله ومماته لله يحب الخير للناس جميعا ويحمل

---

(١) الأنعام ١٦٢

الهداية للناس كافة ، ولا يدخر وسعا في إسعاد الآخرين من قضاء حقوق العباد التي ألزمه الله بها ، فهو بار بوالديه . . واصل لأرحامه . . نافع لجيرانه . . متعاون مع إخوانه . . كاف شره عن الناس ، قد سلم الناس من لسانه ويده ، وائتمنوه على حرماتهم وأموالهم . . وهو مع ذلك يغضب لله ويرضى له ، ويعادي في الله ويحب فيه . . يعادي في الله أعداء الله ولو كانوا أقرب الناس إليه ، ويحب في الله أحباب الله ولو كانوا أبعد الناس عنه ، ويقاتل في سبيل الله من كفر واعتدى ولو كانوا من الآباء والأبناء ، والإخوة والعشيرة. هذا في جانب الخلق .

أما أخلاقه مع الخالق فهي أكمل الأخلاق ، فهو شاهد لله بما شهد لنفسه لا يزيد عن هذا ولا ينقص ، مؤمن برسالات الله ، محب له مطيع

ومثل هذا الانسان الصالح محبوب عند الله ولو كان في اسمال بالية ، وبيت متواضع ، وبطنه جائع . . وذلك المجتمع والأمة التي تضم أمثال هذا هي خير الأمم ولو عاشت في صحاري قاحلة ، ونعم قليلة ، وشوارع ضيقة .

وها نحن نقرأ في القرآن عن بني اسرائل أن الله اختارهم لحمل رسالة ، وفضلهم على العالمين في زمانهم ، وكانوا شعبا

مشردا مطرودا يسامون الخسف ويصبحون ويمسون على الذل والإهانة . . يعيشون مع الفراعنة . . والفراعنة يستحيون نساءهم . ويقتلون أبناءهم ، ويسومونهم سوء العذاب في البناء وفلاحة الأرض وتنظيف الطرقات وخدمة البيوت . .
ومع ذلك نقرأ في القرآن ثناء الله عليهم واجتباءه لهم وتفضيلهم على العالمين في زمانهم لما قاموا برسالة الله وعبدوه ، قال تعالى ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾[1] وهذا في موضعين من القرآن . وفي موضع ثالث قال تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾[2] أي على علم بأنهم أصلح الناس في زمانهم ومن الله عليهم بأن نصرهم على عدوهم ، وانجاهم من بطشه وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها كما قال تعالى عنهم ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾[1]

ولكنهم بعد أن تجاوزوا حدود الله ، وعصوا رسله ،

---

(١) البقرة ٤٧ ، ١٢٢
(٢) الدخان ٣٢
(١) الأعراف ١٣٧

شرعوا يقتلون أنبيائهم ويديرون ظهورهم لشريعة ربهم ، ويدعون في الدين ما لم ينزل عليهم زاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، وأنهم شعبه المختار ، وتطاولوا على الله بالجحود والنكران ، واصفين اياه سبحانه بأبشع الصفات كقولهم (استراح في اليوم السابع)، (يد الله مغلولة). ومجاوزين حدود شريعته . مستحلين للحرام ظالمين انفسهم .

لذلك كله وغيره من المعاصي والذنوب لعنهم الله وطردهم من رحمته وسلط عليهم وإلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، بل وشتت شملهم في الأرض وقوض دولتهم ، وأنهى من الأرض فضلهم وسبقهم ، وجعل اللعنة ملازمة لذكرهم . كما قال تعالى ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾(٢)

وقال عنهم ايضا ﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون . لولا

---

(٢) المائدة ٧٨ ـ ٨٠

ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون . وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فسادا ، والله لا يحب المفسدين ﴾[1]

وقال عنهم أيضا ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم . وقطعناهم في الأرض أمما ، منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾[2]

وإذا تركنا بني إسرائيل يوم أن كانوا أفضل العالمين ، وبعد أن صاروا معلونين مطرودين من رحمة الله ، وجدنا أن الله قد أقام بعدهم أمة عظيمة قدمها في القرآن واثنى على نبيها حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من

---

(١) المائدة ٦٢ ـ ٦٤

(٢) الأعراف ١٦٦ ـ ١٦٨

أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا به واشهد بأنا مسلمون ﴾[٣]

ونجد أن هؤلاء الأنصار الذين جعلهم الله مثلا لهذه الأمة لم يكونوا إلا مجموعة قليلة من صيادي الأسماك يتبعون رسولهم من بلدة إلى بلدة ، ومن قرية إلى قرية في قرى فلسطين فرارا من طغيان الرومان ووشايات اليهود الذين جعلوا جهدهم وجهادهم في القضاء على دعوة عيسى عليه السلام .

أقول : نجد أن الله يطلب من اتباع محمد نصرته والقيام معه كما نصر أتباع عيسى نبيهم ، حيث يقول تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾[١]

وعن هذا الثناء فقد كانت هذه الأمة المهتدية كما أسلفنا روادها قليلو العدد ، تركهم عيسى ورفعه الله وهم اثنا عشر رجلا فقط ، فقاموا من بعده بنشر الدين ، واعلاء كلمة التوحيد . . ومع أن الروم المكذبين بالأمس دخلوا بعد ذلك في

---

(٣) آل عمران ٥٣

(١) الصف ١٤

النصرانية ، إلا أنهم أفسدوا هذه الرسالة عقيدة وشريعة ، فأدخلوا عبادة الأصنام ، واستحلوا أكل كل حرام ، وتغالوا في رسولهم حتى جعلوه الله ، أو ابنا لله ، وجعلوا تلاميذ عيسى رسلا ، ورهبانهم أربابا ووسائط بينهم وبين الله

وبالرغم من أنهم بنوا الكنائس العظيمة ، والأديرة الفخمة الجميلة وجعلوا للدين أعظم الإتاوات والمخصصات ، وأنزلوا رهبانهم وعلماء دينهم منازل القادة والعظماء ، وأججوا الحروب التي سموها مقدسة ، ففتحوا العالم شرقا وغربا حتى أصبحت روما كعبة العالم ، وأم القرى في زمانها . . حتى قال الناس (كل الطرق تؤدي الى روما) . . ونشروا النصرانية الضالة في أوروبا وشمال أفريقيا وغرب آسيا حتى أصبح البحر الأبيض بحيرة رومية .

أقول : وبالرغم من كل ذلك إلا أن الله سبحانه وتعالى استغنى عن خدماتهم ، ولم يأبه لجهادهم وجهودهم . بل حكم عليهم بالضلال والكفر لغلوهم في عيسى واستحلالهم المحرمات . . واستعبادهم الشعوب الضعيفة ، وجعلهم الدين كهانة وميراثا ، ولذلك لم تكن أمة النصارى بعد صدرها الأول أمة صالحة ، ولا كان رجالها رجالا صالحين بمفهوم الصلاح الذي يحبه الله ويرضاه . . وفي ذلك يقول ﷺ ﴿ إن

الله نظر قبل مبعثي إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم .. إلا بقايا من أهل الكتاب ﴾[1]

وهؤلاء البقايا الذين عناهم النبي ﷺ كانوا رهبانا في الفلوات لا يأبه أحد لوجودهم ، ولا يهتم أحد برأيهم .. في وقت كانت نصرانية الشرك في أوجهها وعظمتها

واستخلف الله من بعد ذلك رسولا من العرب ، وقد كانوا ذاك الوقت أفقر العالمين دارا ، وأقل الناس أمنا وقرارا .. فقد كانوا إما تجارا يجوبون الأرض بين الشام واليمن ، أو بدوا رحلا يجوبون الجزيرة وراء العشب والمطر .. وبدأت الأمة الجديدة الصالحة التي اختارها الله لرسالتها الخاتمة تخرج من بين صخور هذه الصحراء ، وتُبنى في سهولها ووديانها ، ويتبع دين الله حر وعبد ، وامرأة وصبي .. يلوذون بالحبشة تارة .. لأن فيها ملكا لا يستباح جواره .. وبأهلهم من الكفار تارة .. ثم يتوجهون إلى المدينة فيبنون عريشا لا يقيهم المطر .. وينامون ويقومون في السلاح من الخوف وقد تربص الأعداء بهم من كل صوب .

يقول أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله ﷺ ﴿ استهلت السماء في ليلة إحدى وعشرين » يعني من شهر

---

(١) مسلم وأحمد

رمضـــان » فوكف المسجـــد في مصلى النبـــي ﷺ ، فبصرت عيني . . نظرت إليه ﷺ انصرف من الصبح ووجهه ممتلىء طينا وماءا ﴾[1]

ويقول أبو هريرة ﴿ ولقد رأيتنا في صفة مسجد رسول الله نحوا من سبعين ، ما منا من له إزار ورداء جميعـا ﴾[2]
هذا وأبـو هريرة لم يسلـم إلا في السنـة السابعـة من هجــرة النبي ﷺ .

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري ﴿ ومن منا كان يجـد ثوبين على عهد رسول الله ﷺ ﴾[3] ؟

وتقول عائشة رضي الله عنها وعن الصحابة أجمعين ﴿ ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض ﴾[4] . . والبر هو القمح .

وقالت أيضا ﴿ ما شبع آل محمد يومين من خبز بر إلا وأحدها تمر ﴾[5]

---

(١) البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم
(٢) أبو داود والنسائي وغيرهم
(٢) أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد
(٣) البخاري
(٤) البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم
(٥) متفق عليه

وقالت أيضا ﴿ إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهـلال . . ثلاثة أهلة في شهـرين ومـا أوقـدت في أبيات رسـول الله ﷺ نار ﴾[٦].

ومع تلك الحال التي كان عليها رسول الله وأصحابه فإننا نقرأ ثناء الله عليهم ، ورضاه عنهم ، ومحبه لهم . . ونعلم يقينا أن ذلك كان المجتمع الصالح . . بل المجتمع المثالي ، الذي لم يوجد في الأرض خير منه لا قبله ولا بعده . . تصديقا لقوله ﷺ ﴿ خـير النـاس قرنــي ، ثم الــذين يلونهــم ، ثم الــذين يلونهم ﴾[١]

ويمن الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة الصالحة فيفتح لها أبواب العالم ، ومغاليق القلوب ، وكنوز الأرض . . فتجبى إليهـا الثمـرات من كل أرض ، ويخافهـا الأحمـر والأبيض والأسود . . ويأمن الناس في رحابها حتى تخرج المرأة من بصري الشام إلى صنعاء اليمن وحدها لا تخاف إلا الله . ويفيض المال فلا يقبله أحد .

وتقوم الأمة بدعوة الله في الأرض فيحقق الله فيها وعده ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في

---

(٦) متفق عليه
(١) البخاري . . وروى معناه مسلم وأبو داود وأحمد وغيرهم

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾[٢]

ولكن الأمة يتقادم بها العهد فتنسى كثيرا مما ذكرت به ، وتتفرق بأبنائها السبل ، وتتبع سنن من كان قبلهم في الطغيان والتجبر ، والافراط والتفريط ، والبعد عن عقيدة الاسلام وشريعته . . فيحل بها أيضا ما يحل بالأمم السابقة من تسليط أعدائها عليها ، وهلاك بعضها ببعض ، ولا تزال إلى اليوم تقرعها كل يوم قارعة . . وتفقد كل صباح جزءا مما كان بيدها بالأمس .

وها نحن نجابه الواقع الأليم الذي نعيشه . . ولا يحتاج منا إلى كثير شرح وبيان . . والكل منا يحياه ويراه ، وإن كان بعضنا أشد إحساسا بوطأته من بعض . .

***

والآن نأتي إلى السؤال الذي قدمنا هذه المقدمة الطويلة من أجله : ما الأسباب التي أوصلتنا إلى تلك الحال ؟؟ وكيف الخروج من المشكلات التي تجابه أمتنا وتعترض سبيل تربيتنا ؟؟

---

(٢) النور ٥٥

باختصار : كيف الطريق إلى المجتمع الصالح والأمة الصالحة ؟؟ وما المنهاج الذي على أساسه نبني الإنسان الصالح ؟؟

وللجواب على هذه الأسئلة . . نقول : هناك مشكلات كثيرة تعترض سبيلنا ، وتحول بيننا وبين الوصول إلى هذه الغاية . . ولكن أهمها ما يلي

أولا   ضياع الهدف والغاية

إن أول أسباب الفشل والضياع الذي أصاب مجتمعنا الإسلامي ، وأضعف أمتنا وشتت شملها هو ضياع الهدف والغاية التي من أجلها برزت هذه الأمة إلى الوجود . . وكانت خير أمة أخرجت للناس . . فالأمة الإسلامية أمة العقيدة . . أمة الدعوة . أو بلغة المعاصرين   أمة الفكرة . . والفكرة التي جمعت هذه الأمة ليست فكرة أرضية بشرية ، ولكنها كلمة إلهية ربانية . . لا إله إلا الله ، محمد رسول الله   كلمة تملأ القلوب والوجدان وتغذي الفكر والعاطفة . . وهي تعني باختصار : أن الله خالق هذا الكون ومدبره ، وأنه الإله الواحد الذي يجب على جميع الخلائق توحيده وعبادته ، والخضوع لسلطانه وتشريعه ، والسعي لبلوغ مرضاته ورضوانه ، وأن كل ما يعبد من دونه باطل . . وأن محمدا ﷺ هو المختار المصطفى للدلالة على هذا الرب العظيم ، ودعوة الناس جميعا إلى مرضاته ، وتحذير العالمين من مغبة معصيته . وعلى أساسها اجتمع الأسود والأحمر ، والعربي والأعجمي .

حقا كان للعرب دورهم الفذ ولا يزال ، ولكن الكلمة والدعوة لم تكن خاصة بهم ، ولا حكرا عليهم ، وإنما اختص الله العرب بالذات لميزات فيهم ولـم تكن لغيرهـم من حب للبذل والتضحية ، وشجاعة فائقة ، وشهامة ومروءة ونجدة ، وايثار للمتع النفسية والروحية على المتع الحسية والجسدية ، فقد كان أحدهم يهب ماله في سبيل بيت من الشعر ، ويعرض نفسه وأهله للخطر في سبيل حماية غريب بلوذ به

وعلى كل حال . . لسنـا بسـبيل بيان أسبـاب هذا الاختصـاص الالهي ، وإنمـا مقصدنـا القـول أن الأمـة الإسلامية أمـة تجمعهـا عقيدة ودعـوة قبـل أن يجمعهـا جنس ولون ، أو أرض ووطن ، أو قوم ونحلة

ولكن هذا الهدف الأسمى ، والغاية العظمى قد نافستها في أرضنا غايات تافهة تحولت بها الأمة إلى أمم . . فلقد زاحمت هذه الغاية غايات دنيوية هزيلة ، وذلك بعد أن قسمت بلاد المسلمين إلى دويلات صغيرة ، وقام في كل إقليم منهـا حاكم ضعيف همه أن يحمي كرسيه . وغايته أن يرتقي بشعبه في سلم الماديات والحياة . . فيعيش الناس في مساكن جميلـة وشـوارع نظيفة ، وحدائق غناء . . وفي سبيل ذلك نسي الهدف الأسمى للأمة ، والغاية العظمى التي أخرجت من أجلها ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمـرون بالمعـروف ، وتنهـون عن

المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾[1]

وإذا كان الناس في عمومهم على دين ملوكهم . . فإن غاية الحكام أصبحت غاية للشعوب والأفراد أيضا . . فتجد الفرد منهم يقضي نهاره وشطرا من ليله سعيا في هذه الدنيا ، وكدحا فيها ، واستمتاعا بها وليس وراء ذلك من شيء !! . . وأصبحنا بذلك على حال يهرم عليها الكبير ، ويشب عليها الصغير ، فما يكاد فينا الوليد يعقل حتى يكون أول درس نلقنه إياه ماذا ستكون ؟؟ . . طبيبا أو مهندسا أو طيارا ؟؟ . . وفي سبيل ذلك نمنعه الصلاة إن كانت معطلة له عن الهدف الذي رسمناه له ، ونزجره عن الدين خوفا عليه من القصور أو التقصير في حياته الدنيا

وباختصار . . لقد ضاع منا الهدف كأمة لها رسالة وغاية في الوجود ، وضاع منا الهدف أيضا كأفراد خلقوا لغاية ، واستخلفوا في الأرض لعبادة ربهم وخالقهم . . وعلاج هذه المشكلة أن نعود من جديد إلى أول الطريق ، ونمسك مرة ثانية بطرف الحبل ، فنوجه الأفراد الوجهة التي خلقهم الله من أجلها ، ونعلن في الأمة الغاية التي أخرجهم الله لها . . لتكون خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) آل عمران ١١٠

ثانياً التفرق والخلاف

المشكلة الثانية التي يواجهها مجتمعنا وأمتنا . . هي التفرق والاختلاف . . وذلك لضياع الهدف أولا ـ كما ذكرنا ذلك ي الفقرة السابقة ـ ثم لضياع حقيقة الدين أو بالأحرى للاختلاف على حقيقة الدين الذي يريده الله منا . . ونعني بحقيقة الدين . . نموذجه الأسمى ، وصورته الصحيحة . . فعقيدة التوحيد التي لا يقبل الله أحدا دون أن يعتقدها قد أصبح عليها جدل طويل . . فحقيقة الإله ، ومستلزمات الربوبية ، وصفات الله كل ذلك وقع فيه بين المسلمين خلاف يفرقهم إلى مسلم وكافر ، وموحد ومشرك ومتبع ومبتدع .

وحقيقة الشريعة كذلك . . أضحى فيها خلاف بين المسلمين ، ليس في فرعيات بعينها فقط ، بل أيضا وفي الأصول التي يرجع إليها عند الاختلاف . . فالمسلمون اليوم . . بين متبع يرى لزاما عليه اتباع الكتاب والسنة ، ورد كل خلاف إليها . . ومقلد يستبح لنفسه تقليد عالم أبدا ، أو اختيار كل قول في الدين دليلا وإماما .

ومناهج التربية أيضا والتهذيب . . امتد اليها الاختلاف والتفرق ، فنشأت التربية الصوفية بكل ما جرت على المسلمين من ويلات الانحراف عن العقيدة الخالصة ، والانزواء عن مقارعة الباطل ، وادخال شعائر الكفار والزنادقة إلى دين الاسلام . . ونشأت أيضا التربية الحزبية الدينية الضيقة . . التي جعلت كل مجموعة من المسلمين أمة برأسها ، وحزبا منفردا يوالي أهل حزبه وجماعته فقط ، ويعادي ما دون ذلك ، ولا يرى حقا إلا مع نفسه وجماعته . . ولو أعطى ألف دليل . . ونشأت التربية الوطنية والإقليمية الضيقة ، فعمقت الاختلاف والتفرق ، وزرعت الفتنة والبغضاء . . وللأسف إن الفكر المسموع لهذه التربية الإقليمية أخطر كثيرا من الفكر المكتوب والمقروء .

ولقد جاوزت التربية الاقليمية والوطنية التحزب للوطن كجزء من العالم العربي والأمة الإسلامية إلى الاعتزاز بماضي هذه الأوطان قبل الإسلام . . فمجدت لذلك الجاهلية الفرعونية ، والآشورية ، والبابلية ، والفينيقية ، واليعربية الجاهلية . . فأصبحت أصنام هذه الجاهليات وآثارها جزءا من التراث المقدس المعتز به .

ونشأت كذلك الحزبية السياسية . . فاخترعت ايضا عقائد خاصة ، ومناهج خاصة في التربية والموالاة والتشريع .

وباختصار . . تفرق المسلمون في حقيقة الدين أولا فكانوا شيعا وأحزابا ، وافترقوا كذلك بأسباب أخرى تعصبا للوطن أو الجنس أو الحزب الذي يخترع عقيدة مناهضة للاسلام وبعيدة عنه . . وهذه في الحقيقة مشكلة المشاكل أمام الأمة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي . . مشكلة المشاكل التي هدت قوى هذه الأمة ، وأذهبت ريحها ، وشتت شملها ولا نتصور أن يقوم للمسلمين قائمة في الأرض ، أو تبنى لهم أمة صالحة إلا بعلاج هذه المشكلة . . ولا علاج لها إلا بالتنادي للالتفاف من جديد حول الكلمة التي وحدتهم ، والتشريع الذي جمعهم . . ولا شك أن الوصول لذلك مستحيل إلا بالرجوع إلى مصادر الدين الأساسية . . الكتاب والسنة وفهمها على المنهاج الذي فهمه السلف الأول الصالحون من الصحابة ومن سار على دربهم وطريقهم ، وكذلك فلا بد من محاربة العصبية والحزبية أيّا كان لونها وشكلها . . عصبية للوطن أو القوم ، أو المذهب ، أو جماعة الدعوة ، أو أي مسمى من المسميات الجاهلية أو الإسلامية . . وقديما ذم الرسول ﷺ التعصب للأنصار عندما نادى منادي المنافقين ليحزبهم ضد المهاجرين . فقال : دعوها فانها منتنة[1]

ولذلك . . فالمسلم الصالح هو الذي يكون تمسكه

---

(١) البخاري ومسلم والترمذي وأحمد

بالكتاب والسنة ، وتعصبه للحق أيا كان ، وللدليل أين وجد ، منصفا من نفسه ، شاهدا بالحق ولو على نفسه ، قائما بالقسط عاملا به . . ولا شك أن هذه التربية تقتضينا أن نبحث عن حقيقة الدين التي يريدها الله منا ، ونعني بحقيقة الدين . . العقيدة والإيمان . . الذي يريده الله ، الشريعة والصراط الذي يحبه الله ويرضاه . . وحقا ان هذا المضمن في كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، ولكنه يحتاج منا تعلقا به ، وتحركا له، واستنباطا منه ، وان نستصغر كل قول يخالف ذلك مهما كان صاحب هذا القول قريبا منا ، حبيبا إلينا .

ولا شك أيضا أن الجهاد ليكون هذا المنهج في التربية معمولا به في جامعاتنا ، ومدارسنا، ومحاضراتنا الفكرية والتربوية . . هو بداية الطريق للتأسيس والبناء ، وذلك لينشأ لنا بعد زمن الجيل الموحد الذي يتناسق ويتفق في توجهاته وأفكاره ، بدلا من هذا الجيل الضائع المشتت بين هذه الأنماط المختلفة والأشكال المتباينة من العقائد والأفكار والآراء .

وبذلك أيضا تختفي أو تقل مظاهر الاغتراب التي يعاني منها كثير من شبابنا ورجالنا الذين يشعرون أنهم يعيشون في مجتمع لا يفهمهم ، ولا يدرك مقاصدهم وأهدافهم . . أولا يفهمونه ولا يستطيعون الانسجام معه ، ومشاركة أهله آلامهم وآمالهم

وتختفي أيضا مظاهر الانفصام والتذبذب الفكري ، وازدواج الشخصية ، والانتقال من النقيض إلى النقيض دون شعور بالفرق والنقلة . . وهذا المرض بات يهدد معظم شبابنا ورجالنا ونسائنا ، حيث التربية المزدوجة والمناهج المختلطة ، والحشو الزائف ، والتقليد الأعمى لكل ناعق بخير أو بشر حتى فقدنا لذلك الشخصية المستقلة ، والفكر الناقد .

وبالتربية الاسلامية ستختفي أيضا قوافل التقليد ، وجحافل الدهماء التي باتت تفرزها هذه المناهج العمياء التي تقوم على فكر القطيع .

ثالثاً غلبة أهل الكفر على أهل الإسلام

المشكلة التالية التي تعترض سبيل أمتنا ، وتحول بين عودة مجتمعاتنا إلى الدين القويم . . هي وقوع أوطان المسلمين تحت سيطرة دول الكفر زمانا طويلا . . هذه الدول التي مزقت أوطان المسلمين ، وجعلتهم دولا ، وغرست في كل وطن مشكلات تستعصي على الحل . . فقد أقامت تشريع الكفر مكان تشريع الله ، ووضعت مناهج للتعليم والتربية لا تخرج إلا اتباعا وأذنابا لكفر الكافر المستعمر ، وربت مجموعات من العملاء والموالين . . لا يزالون يتولون أفضل المناصب في توجيه الأمة . . وأقامت بذلك واقعا جديدا من الحكومات السياسية ، والأحزاب ، والحدود السياسية ، والقوانين الاقتصادية ، والاجتماعية . . وغرست أنماطا من السلوك والتقاليد والعادات والميول تتفق مع أخلاق الكفار . . واستطاعت أيضا تحويل طائفة عظيمة من المسلمين عن عقائدهم الراسخة في الإيمان بالله . . ووجوب حمل رسالة الإسلام .

والخلاصة . . أنه قد نشأ في أرض الإسلام واقع جديد

يناهض الإسلام ويعاديه ويناقضه . . وهذا الواقع يتمثل في القوانين الوضعية ، والمناهج التربوية ، والفكر الثقافي الموالي لدول الكفر . . وكذلك يتمثل هذا الواقع في كثير من آداب السلوك ، والعادات والتقاليد .

ولا شك أن الجهاد لتغيير هذا الواقع يحتاج جهودا كبيرة في كل تلك الميادين ، حتى ينشأ واقع جديد ينبع من الإسلام . . فتعديل القوانين الوضعية في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي يحتاج إلى جهود علماء ومتخصصين ودعاة بعد أن ركدت حركة الاجتهاد الفقهي زمانا طويلا وأصبح من يتصدر للعلم والدعوة والفتيا ، لا يحملون من علوم الاسلام الا شيئا قليلا . . وهذا القليل مختلط بغيره من الفكر الدخيل على الإسلام.

وكذلك فالجهاد لتحويل آداب السلوك والعادات والتقاليد ، والأخلاق بوجه عام لتتفق مع الشريعة الإسلامية . . يحتاج أيضا إلى جهود هائلة ، من التوعية والتوجيه ، وضرب المثال ، وإبراز أخلاق الإسلام وآدابه . . في الطعام والشراب ، واللباس والزينة ، والأفراح والأحزان ، والمناسبات الخاصة والعامة . . وذلك حتى ينشأ جيل جديد يعتز بتراثه الإسلامي . . وبذلك تمحي الآثار العقائدية والفكرية والثقافية والاجتماعية . التي خلقها الاستعمار .

رابعاً الغزو الفكري والثقافي الدائم

يعيش العالم اليوم وكأنه قرية واحدة . . فما يقع في أقصى الأرض من أحداث يتأثر به من يعيش في أدناها . . وما يُبتدع من لباس أو زينة أو عادة أو فكر او عقيدة ينقل في وقت قصير ليعم شرق الأرض وغربها ، وذلك عبر وسائط ومنافذ لا يكاد يخلو منها قطر اليوم أو بلد . . فالتليفزيون ، والراديو ، والشريط المسجل . . مرئيا ومسموعا والصحيفة والكتاب ، والسياحة ، والمؤتمرات العامة . . كل ذلك جعل الناس يتأثر بعضهم ببعض ، وينقل بعضهم عن بعض .

وكل ذلك يحتاج ـ إذا أردنا حماية مجتمعنا الاسلامي ، وناشئتنا الاسلامية إلى جهود هائلة . . ليس لمجرد المنع واغلاق المنافذ والأبواب . . فإن هذا قد أضحى مستحيلا ، وإنما للتوجيه والبيان والإرشاد ، والرد على الشبهات والأفكار الواردة ، والعقائد المسمومة . . وكل هذا ولا شك يحتاج الى علماء ومتخصصين ، على مستوى الحدث . . فهما له ، ومعرفة بجذوره ، وإدراكا لمغازيه ومراميه ، وقدرة على الرد .

ونأسف إذا قلنا إن أمتنا لا تملك أمام هذا الغزو الثقافي والإعلامي بجيوشه الجرارة ، وأسلحته الفتاكة إلا مقاومة قليلة ، ولا تملك أيضا من وسائل القوة والعلم للتصدي لمثل هذا الغزو إلا شيئا يسيرا جدا

خامساً   أخطاء مناهج الإصلاح

بالرغم من هذا الواقع الاجتماعي والفكري والثقافي الجديد ، الذي تعيشه أمتنا . . فإن هناك من يظن أو يعتقد انه يستطيع تغيير هذا الواقع بمجموعة من القوانين ، يصدرها حاكم ، أو زعيم ما . . أو كما يقولون : يمكن تغيير هذا الواقع بجرة قلم وهذا بعيد جدا عن الصواب . . لأن الإسلام ليس امتثالا لظاهر من الأعمال فقط بل هو قبل ذلك . . إيمان يملأ القلب ، ويجعل العمل الظاهري ثمرة لذلك الإيمان القلبي ، والإيمان لا يفرض بقانون .

نعم الإيمان يحمى بقانون ، ونحن في الحقيقة نحتاج أولا إلى وجود الحقيقة الايمانية في عامة الشعب أو جمهوره . . وذلك حتى يلاحق القانون الشواذ والقلة ، ولا يوضع القانون لملاحقة الكثرة والعامة . . فإن القانون إذا لاحق الكثرة استحال تطبيقه إلا عن طريق الارهاب والإكراه . . وهذا بحد ذاته منفر من الايمان والإسلام .

وكذلك هناك من يظن ان التربية كالصناعة المادية . . حيث تصنع الخامة من المعدن أو القطن أو الصوف في جانب

من المصنع لنتلقاه سيارة وثلاجة وقماشا في الجانب الآخـر . . وهذا خطأ كبير ، لأن التربية الإنسانية الفعلية بطيئة بطء النمو الجسماني . . فتربية الأفكار والعقائد وآداب السلوك يحتاج من الزمن ما يحتاجه النمو الجسماني .

ومثل المستعجلين في التربية . . كمثـل من يريد جنينـاً بشريا في أقل من تسعة أشهر ، ومن يريد إخراج رجل كامل في أقل من السنين التي تستلزم ذلك . والحال أننـا نحتـاج لنعيد الأمة إلى جادة الحق وصراط الله . . إلى عدد من السنين يناسب الوقت الذي في مثله يتربى الجيل .

والخلاصة . . يا إخوة . . أننا نحتاج أن نلقي البذرة ، وأن ننتظر النمو الطبيعي الفطري لنباتها ، ثم نتعهدها بالسقي والرعاية ، وإبعاد الأذى والآفات عنها ، حتى تشب وتقوى ، وتصبح شجرة باسقة تقوى على مقاوة الريح وهضم الآفات . . والبذرة التي نزرعها هي الكلمة الطيبة فلنطـرق بهـا كل أذن ولننتظـر حتـى تعمـل عملهـا في القلـب والنفس . . ولنتعهدها حيث ألقيناها بدوام التذكير ، ولنحميها من الآفات والسموم ، ولنصبر منها على الضعف الذي يعتريها حتى تصل إلى الكمال الذي قدره الله لها

وكذلك الأمر مع المجتمع والأمة . . نحتـاج إلى غرس

الفضيلـة ، ونشر الوعـي ، والانتقـال خطـوة نحـــو الـــكمال والإصلاح

سادساً التصور الخاطىء للمجتمع الصالح والانسان الصالح

يقوم هناك تصور خاطىء ، وخاصة في عقول بعض المربيين والدعاة . إذ يظنون أن المجتمع الصالح ، مجتمع بلا جريمة ، ولا شرور . . والانسان الصالح إنسان بلا خطيئة وهذا التصور الخاطىء جعل المجتمع المطلوب مجتمعا مثاليا مثالية خيالية لا وجود لها في عالم الواقع . . والانسان المطلوب أو المرتجى إنسانا مثاليا ملائكيا لا وجود له . وهذا التصور الخاطىء أوصل كثيرين من الدعاة والمربين والعلماء والمصلحين إلى اليأس والإحباط وذلك عندما شاهدوا البون الشاسع بين ما يطمحون إليه ويظنون أنهم بالغوه وأنه ممكن التحقيق ، وبين الواقع الذي يصلون إليه بالفعل في التربية والاصلاح .

وتصحيحا لهذا المفهوم الخاطىء . . نقول إن إصلاح المجتمع الانساني كله ، وهداية الناس جميعا . . أمر مستحيل ، بل هو أصلا مخالف لسنة الله تبارك وتعالى الذي شاءت حكمته أن يكون في الأرض مؤمن وكافر ، وأن تكون

جنة ونار ، وأن تمتلىء هذه وتلك . . وهـذا الأمـر جار وفـق حكمته ومشيئته سبحانه وتعالى . . قال تعالى ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين . إلا من رحـم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾[1] . وقال تعالى مسليا رسولـه ومهونـا عليه ﴿ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ، ولـو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين ﴾[1]

ولذلك فإن الكفر لن يمحي من الأرض مادام الانسـان عليها ، بل سنة الله أن يبتلى المؤمنين بالمجرمين . كما قال تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ، وكفى بربـك هاديا ونصيرا ﴾[2] . هذا في الدوائر الانسانية العامة .

وأما في الدائرة الاسلامية . . أعني دائرة أهل الايمان ، فان الخطيئة والجريمة لم تنقطع من مجتمـع المؤمنـين مطلقـا ، فولدي آدم قتل أحدهما أخاه ، وكتب الله القصاص في القتلى بين المؤمنين من أجل ذلك . كما قال تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فتقبل من أحـدهما ولـم يتقبـل من

---

(١) هود ١١٨ ـ ١١٩

(١) الأنعام ٣٥

(٢) الفرقان ٣١

الآخر قال لأقتلنك ، قال : انما يتقبل الله من المتقين . . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين ﴾(٣)

وقد عقب الله على ذكر هذه الجريمة بتذكيرنا إن الأخ الشقيق يقتل شقيقه ظلما إذا قدر على ذلك . . عقب الله على ذلك بقوله

﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض . فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ، ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون ، إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾(١)

وكذلك كان مع نوح ابنه وزوجته يتظاهران بدينه ،

---

(٣) المائدة ٢٧ ـ ٣٠

(١) المائدة ٣٢ ـ ٣٣

وليسا كذلك . وفي بني اسرائيل يوم كانت أمة مهتدية قائمة بأمر الله في الأرض كان فيها آنذاك من عبد العجل، ورفض الانصياع لأحكام التوراة ، وطلب من موسى عبادة الأصنام ، واتهم موسى بقتل هارون ، ومن آذى موسى ، ومن نكل عن الجهاد والغزو وجبن أمام الأعداء ، ومن سرق فقطع ، ومن قتل واتهم الأبرياء بأنهم قتلوا قال تعالى عنهم

﴿ وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ﴾[2] أي درأ كل منكم التهمة عن نفسه ، واتهم غيره ، وكل ذلك ونبيهم معهم ، ورسولهم بين ظهرانيهم . . وكل ذلك أيضا صدر من المؤمنين الذين يعيشون في رحاب الوحي ، بل ويشاهدون المعجزات كل يوم أمام أعينهم . . فقد شاهد هؤلاء انشقاق البحر ، وتحول العصا إلى حية ، وخروج يد موسى من جيبه بيضاء من غير سوء ، وضرب آل فرعون بالسنين، وتسليط القمل والضفادع والدم عليهم ، وشاهدوا أيضا إحياء القتيل بضربه بقطعة لحم من بقرة مذبوحة . . كما قال تعالى ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾[1] . . ولكنهم مع ذلك كانوا كما ذكر الله

---

(٢) البقرة ٧٢

(١) البقرة ٧٤

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون ﴾(٢)

وكذلك كان في تلاميذ عيسى عليه السلام من وشى به ، ودل الحكام الظلمة عليه ، وهو يعلم أنهم يطلبونه للقتل !!!.

وبالرغم أيضا من أن مجتمع المسلمين أتباع محمدﷺ كان خير مجتمع . وأصحابه كانوا خير الأصحاب .. والا أنه كان فيهم أيضا من شرب الخمر فجلد ، ومن زنى فرجم ، ومن سرق فقطعت يده ، ومن أصابه ضعف فأفشى سر الرسول لأعدائه ، ومن اتهم زوجة النبي - برأها الله - بالزنا ثم جلد ، وكان منهم أيضا من ترك الرسول في يوم جمعة وهو قائم يخطب عندما سمع أنه قد جاءت عير بتجارة ، ومنهم من قال للرسول : ﴿ اعدل يا محمد فهذه قسمة ما أريد بها وجه الله ﴾(٣) .. وكذلك كان فيهم البدوي الجلف الذي يبول في المسجد ، ومن يجذب الرسولﷺ بحاشية ردائه حتى تؤثر في رقبته .. وكل هؤلاء كانوا من المؤمنين الصالحين . وأما المنافقون فقد كان مجتمع المدينة ، وهو خير مجتمع وجد على

---

(٢) البقرة ٧٤

(٣) البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد

سطح الأرض ، في عهد النبيﷺ غاصا بهم . . فقد تمالئوا مع اليهود والمشركين ، وخانوا النبيﷺ ، وتآمروا على قتله ، وكادوا أن يقتلوه غير مرة ، وسبوا الرسول والمهاجرين . . وقالوا ﴿ لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾[1] . وقالوا : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ﴾[2] . . وقالوا أيضا عن المهاجرين ﴿ ما نرانا وهؤلاء إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك ﴾[3] . . ومع ذلك فقد كانوا يصلون مع النبي ، ويحجون معه ، ويجاهدون الكفار ، ويخرجون في الغزو معه . . ويتكلمون فيعجب السامع لكلامهم ويسمع لهم من حلاوة منطقهم وحلو حديثهم .

ولا شك أن الآفات والجرائم والأخطاء والضعف التي كانت بعد ذلك في مجتمع الراشدين ، ومن بعدهم ، كان أعظم من هذا بكثير . . والمقصود من كل ذلك . . التنبيه على ان المجتمع الصالح ليس مجتمعا تختفي منه الجريمة ، ويمحي منه الشر ، وتزول منه الأثرة والطمع والشح والبخل . . كلا فإن مثل هذا المجتمع لا وجود له في عالم الواقع .

(١) المنافقون ٧

(٢) المنافقون ٨

(٣) قالها رأس النفاق عبد الله بن ابي في غزوة بني المصطلق . . راجع البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٥٧ . . وتفسير سورة المنافقين .

ولكن المجتمع الصالح .. هو الذي لا يقر هذا الباطل ، ويعمل على تلافيه ، وعلاجه .. فالجريمة مسيطر عليها ، نافذ حكم الله في اصحابها .. والضعف يعالج بما يناسبه .. شدة ولينا ، ومسامحة وتنكيلا .. حسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية .. ويتطلبه الموقف .

والمقصود من سرد ذلك كله .. أن نبين الجانب الآخر من الصورة .. وذلك أن عرض المواقف الحسنة والجوانب المثالية الطيبة ، جعل الناس ينظرون إلى المجتمعات الفاضلة نظرة غير واقعية ، وغير صحيحة . ولذلك فقدوا الأمل في إصلاح مجتمعاتنا المعاصرة التي تعج بالفساد ، واعتقدوا أنه يستحيل الوصول إلى الصورة التي تخيلوها .. فانصرفوا عن الدعوة والعلاج .. بل وقعت طوائف منهم وهلكت أيضا عندما رأوا أن أشخاصهم وذواتهم لا يمكن أن ترتقي للمستوى الذي تخيلوه للفرد الصالح .. ولو عرف هؤلاء حقيقة النفس البشرية لم ييأسوا من علاج انفسهم وغيرهم . قال تعالى ﴿ ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ، إن ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، واذ أنتم أجنة في بطون

أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى ﴾[1]

فجعل الله الذين أحسنوا هم الذين يجتنبون الكبائر ، وتقع منهم الصغائر التي يغفرها الله وهذا هو المحسن وكذلك أدخل الله في جملة المتقين من يفعل فاحشة ثم يتوب منها كما قال سبحانه وتعالى

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ .

« ثم وصفهم فقال » ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين ﴾[1]

---

(١) النجم ٣١ ـ ٣٢

(١) آل عمران ١٣٣ ـ ١٣٦

خاتمة

هذه أخي المسلم هي أهم العقبات التي تعترض سبيلنا وتحول بين المصلحين وبين إعادة بناء هذه الأمة من جديد . وهي عقبات ليست مستعصية عن الحل . وذلك إذا عرفنا هدفنا وغايتنا جيدا ، واتخذنا الطريق المناسب لذلك . واتبعنا سنن الله في خلقه التي لا تتبدل ولا تتغير ، واتخذنا السياسة الشرعية ، التي سار فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد عرفوا غايتهم قبل أن يسيروا خطوة واحدة على الدرب عرفوا أن غايتهم هي عبادة الله الواحد لا شريك له ، وتكوين أمة على هذه الغاية تقوم بأمر الله وتجاهد في سبيله ، ومن ثم وحدوا كلمتهم ونسوا أحقادهم القديمة ، وتركوا كل ما تفتخر به الجاهلية من الاحساب والأنساب ، واعتصموا بحبل الله جميعا ، وواسى كل فرد منهم أخاه ، وفداه بروحه ونفسه ، ثم عرفوا مدهم أعداؤهم على الحقيقة واتخذوا السياسة الشرعية في حرب هؤلاء الأعداء فلم يحاربوهم جميعا دفعة واحدة ، وإنما حاربوا من حاربهم واعتدى عليهم ، حتى قويت شوكتهم وعظم أمرهم ، وأقاموا أعظم أمة شهدتها الجزيرة ، ثم توجهوا

بعـد ذلك خارج هذه الجـزيرة ينشـدون الخـير للنـاس جميعـا والهداية للبشر كلهم ، فأعلوا كلمـة الله في الأرض ، ونشروا الاسلام في العالمين ، وحافظوا في كل ذلك على نقاء عقيدتهم ونظافة فكرهم ، وأقاموا بعد ذلك المجتمع الانسـان الكامـل الذي يعلو فيه الخير ، ويقل فيه الشر وكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس واليوم نحن مطالبون ان نقتفي أثرهم ، ونتبع سبيلهم متوكلين في كل ذلك على الله وحده سبحانه وتعالى وقد تكفل الله لكل مجاهد في سبيله أن يهديه السبيل وينـير له الدرب كما قال تعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنـا وإن الله لمع المحسـنين** ﴾ فلنـكن كما كان سلفنـا الصالـــح ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

الفهرس

الصفحة	الموضوع

كتب للمؤلف

١ ــ القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة
٢ ــ الأصول العلمية للدعوة السلفية
٣ ــ الحد الفاصل بين الأيمان والكفر .
٤ ــ الولاء والبراء .
٥ ــ السلفيون والأئمة الأربعة
٦ ــ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة
٧ ــ خطوط رئيسية لبعث الأمة الاسلامية
٨ ــ الشورى في ظل الحكم الاسلامي
٩ ــ الطريق إلى حج مبرور
١٠ ــ أضواء على مشكلاتنا السياسية
١١ ــ الزواج في ظل الاسلام .
١٢ ــ الرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات .
١٤ ــ منهج جديد لدراسة التوحيد
١٥ ــ الحدود الشرعية ، كيف نطبقها ومتى ؟